غَزوةُ كَنعانِ

أدريان إيبنز
كيفن مولنز

غزوة كنعان

أدريان إيينز
كيفن مولنز

تمت الطباعة بواسطة

adrian@life-matters.org

يوليو (تموز) ٢٠٢٠

جدول المحتويات

مواجهة الحقيقة ٥

قضية خطيرة على الجميع مواجهتها ٦

الشيطان يسيء تمثيل الله ٧

خطة الله الأصلية في السيطرة على كنعان ٨

خوف إسرائيل من الله ٩

لحظة حاسمة مع عماليق ٩

السيف الموروث ١١

كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ ١٥

بعد مرور أربعين عامًا ١٦

موسى يضرب الصخرة بتمردٍ ١٧

إسرائيل ينذر نذرًا ١٨

الله يعطي إسرائيل ما كانوا يريدون ١٩

التحرر من صنم الخوف ٢١

دينونة بلا رحمة ٢٢

لمحات من المجد ٢٣

التعرُّف على الله من خلال نور المسيح ٢٤

مواجهة الحقيقة

"وَأَخَذْنَا كُلَّ مُدُنِهِ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ، وَحَرَّمْنَا مِنْ كُلِّ مَدِينَةٍ: الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ. لَمْ نُبْقِ شَارِدًا" (تثنية ٢: ٣٤).

من الصعب قراءة مقاطع من الكتاب المقدس مثل هذه دون الشعور برعب شديد يخترق النفس. بينما يجد البعض طريقة لتبرير قتل الذكور المحاربين، فإنهم يجدون صعوبة بالغة في تخيل طفل صغير وهو يُقتَل بسيف جندي من الجنود الإسرائيليين. مجرد التفكير في ذلك يجعلني أشعر بالاشمئزاز التام. وما يزيد الأمر سوءًا هو أن الكتاب المقدس يبدو وكأنه يتساهل مع هذه الأمور، بل ويأمر بها أيضًا.

"وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ" (تثنية ٧: ٢).

"فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ مُدُنِ أُولئِكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعَ مُلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمَهُمْ كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ" (يشوع ١١: ١٢).

"فَضَرَبَ يَشُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْجَنُوبِ وَالسَّهْلِ وَالسُّفُوحِ وَكُلَّ مُلُوكِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، بَلْ حَرَّمَ كُلَّ نَسَمَةٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ" (إشعياء ١٠: ٤٠).

لقد قيل أن عبارة "حرَّم" (دمرَّ تدميرًا شاملاً) لا تعني ما نظن أنها تعني (في أماكن أخرى يُعبَّر عنها بمصطلح الحظر). فلو تم القضاء التام على مجموعة من الناس، فلماذا تعطي أمرًا بعدم الزواج منهم؟

"وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، **وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ. بِنْتَكَ لاَ تُعْطِ لابْنِهِ، وَبِنْتُهُ لاَ تَأْخُذْ لابْنِكَ.** لأَنَّهُ يَرُدُّ ابْنَكَ مِنْ وَرَائِي فَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى، فَيَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ وَيُهْلِكُكُمْ سَرِيعًا" (تثنية ٧: ٢ – ٤).

نستطيع أن نفهم هذا التناقض الواضح عندما نعرف أن إسرائيل قد أمرت بعرض السلام أولاً قبل الحرب. فإن قبلت المدينة عرض السلام، فإنها تصير موالية لإسرائيل، ويقوم الشعب بتدمير أصنامهم ونظام عبادتهم.

"حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ" (تثنية ٢٠: ١٠ و١١).

"وَلكِنْ هكَذَا تَفْعَلُونَ بِهِمْ: تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصِبَتَهُمْ، وَتُقَطِّعُونَ سَوَارِيَهُمْ، وَتُحْرِقُونَ تَمَاثِيلَهُمْ بِالنَّارِ" (تثنية ٧: ٥).

ولكن حتى لو قلنا أن هذا هو بالفعل ما حدث، فإننا نجد اختلافًا كبيرًا بين ما كان يحدث وبين تعاليم المسيح.

"فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!" (متى ٢٦: ٥٢).

"فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ تِلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا، قَالاَ: «يَا رَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضًا؟» فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ». فَمَضَوْا إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى" (متى ٩: ٥٤ – ٥٦).

قضية خطيرة على الجميع مواجهتها

ينبغي ألا نتفاجئ عندما ندرك أن المسألة المتعلقة بفهم صفات الله تتضمن صراعًا عقليًا كالصراع الذي دار بين يعقوب والملاك. لم يستطع يعقوب تمييز هوية الشخص الذي كان يصارعه. وكان يظن أن الملاك هو عدوه الذي أُرسل ليهلكه، بينما في الحقيقة كان هو مخلصه المحب الذي جاء لمعونته وإنقاذه.

"فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلًا: «**لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ**، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي»" (تكوين ٣٢: ٢٤ – ٣٠).

"فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا ... **اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ**" (يوحنا ١: ١ و٢ و١٤ و١٨).

رأى يعقوب الله وجهًا لوجه في شخص ابنه الوحيد، لكنه لم يعرف ذلك حتى انتصر في مصارعته. كان هناك سبب واحد فقط جعل يعقوب يتحمل هذا الصراع. سأله المسيح "ما اسمك؟" لقد قاد يعقوب إلى الاعتراف حيث أن اسمه يعني "يحل محل". لقد سرق البكورية من أخيه وخدع والده ليباركه. والآن كان يعقوب يتوسل لهذا المُرسَل السماوي كي يباركه. وبعد أن خلع المسيح حُقّ فخذه، لم يكن بمقدور يعقوب سوى الإتكاء على مخلصه من أجل الاستقرار وفي الوقت ذاته ترجي بركته. وقد أدرك يعقوب هنا أن الله هو إله رحيم ورؤوف إلى الأبد، وقد وضع ثقته التامة في هذه الرحمة. لذلك غيّر المسيح اسم يعقوب إلى "إسرائيل" الذي يعني "المنتصر" أو "الذي لديه القوة كرئيس".

إن الذين يؤمنون بأن الله رحيمًا هم وحدهم الذين سيكون لديهم الثقة التي ستمكنهم من نيل بركة المسيح التي نالها يعقوب. هذا التعارض الواضح الذي نراه بين قصص العهد القديم وأقوال المسيح في العهد الجديد يفتح بابًا في أذهاننا للأفكار التي زرعها الشيطان والأكاذيب القائلة بأن الله ليس رحيمًا. وهذا التناقض الواضح الذي نواجهه سيؤدي إلى صراع كبير مع مخلصنا ما لم نؤمن بأن أبينا رحيم ويمكننا الوثوق برحمته. والامتعاض الكامن في النفس سيظهر عند قراءة هذه القصص. والدليل على هذه البذرة المرة التي أولدتها الفكرة التي أوجدها الشيطان نراه في حياة رجال أمثال ريتشارد دوكينز وستيفن فراي

وآخرين. وهي كذبة تُظهِر الله على أنه ديكتاتور يخلو من الشفقة والرحمة، وتجعل الكثير من العقول البشرية تبغضه وتقوم بقتله في نهاية المطاف. وزعم هؤلاء الملحدين الجدد بأن الله هو إله مستبد وعنيف وقاس يجعل الكثيرين يبتعدون عن الإيمان به وإنكار وجوده بالمرة.

وعلى الناحية الأخرى فهناك من يتسرعون في الدفاع عن شخصية الله وصفاته باعتباره رحيمًا وذلك بالتزويد على ما تعلمه كلمة الله كما فعلت أمنا حواء. والبعض يستسلمون لخداع التعاليم الكونية التي تقول بأن جميع الناس سيخلصون. أما البعض الآخر فينتهجون نهجًا انتقاديًا للعهد القديم ويقولون أن الناس في ذلك الحين كان يفعلون أفضل ما عندهم. وفي جميع الحالات، فإن الثقة في القراءة الصريحة لأسفار الوحي المقدسة تتلاشى وتتلف، ويُسمَح للحيّة بخنق النفس بمكائده وخداعه.

الشيطان يسيء تمثيل الله

أساء الشيطان منذ البدء تمثيل صفات الله.

"لِمَاذَا لاَ تَفْهَمُونَ كَلاَمِي؟ لأَنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي. أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. **ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ**، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، **لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ**" (يوحنا ٨: ٤٣ و٤٤).

لقد كان مخطط الشيطان منذ البداية أن يكسو الله بصفاته الخاصة حتى يرفضه الناس.

"اُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ" (بطرس الأولى ٥: ٨).

إن الشيطان هو من يسعى للقتل والتدمير. سيفعل كل ما في وسعه ودهائه حتى يعمينا عن رحمة الله فننظر إليه على أنه طاغية متعطش للدماء.

"وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلًا: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ لَمَّا سَكَنُوا أَرْضَهُمْ **نَجَّسُوهَا بِطَرِيقِهِمْ وَبِأَفْعَالِهِمْ**. كَانَتْ طَرِيقُهُمْ أَمَامِي كَنَجَاسَةِ الطَّامِثِ، فَسَكَبْتُ غَضَبِي عَلَيْهِمْ **لأَجْلِ الدَّمِ الَّذِي سَفَكُوهُ عَلَى الأَرْضِ**، وَبِأَصْنَامِهِمْ نَجَّسُوهَا. فَبَدَّدْتُهُمْ فِي الأُمَمِ فَتَذَرَّوْا فِي الأَرَاضِي. **كَطَرِيقِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ** دِنْتُهُمْ. فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى الأُمَمِ حَيْثُ جَاءُوا **نَجَّسُوا اسْمِي الْقُدُّوسَ**، إِذْ قَالُوا لَهُمْ: هؤُلاَءِ شَعْبُ الرَّبِّ وَقَدْ خَرَجُوا مِنْ أَرْضِهِ. فَتَحَنَّنْتُ عَلَى اسْمِي الْقُدُّوسِ **الَّذِي نَجَّسَهُ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ فِي الأُمَمِ** حَيْثُ جَاءُوا" (حزقيال ٣٦: ١٦ – ٢١).

عندما يقول الله "نجسوا اسمي القدوس" فإنه لا يقول أنهم كانوا ينطقون اسمه بطريقة خاطئة. وكما رأينا في قصة يعقوب، فإن المفهوم العبري للاسم هو الصفات. لقد كانوا يهينون وينجسون صفاته، ليس فقط بأصنامهم، بل بالدم الذي سفكوه على الأرض. يخبرنا الله ما هو اسمه.

"فَقَالَ (أي موسى): «أَرِنِي مَجْدَكَ». فَقَالَ (أي الله): «أُجِيزُ كُلَّ **جُودَتِي** قُدَّامَكَ. **وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ**. وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ، **وَأَرْحَمُ** مَنْ أَرْحَمُ»" (حزقيال ٣٣: ١٨ و١٩).

يُعلَن اسم الله (صفاته) من خلال "جودته" أي صلاحه، لأنه "رؤوف" وكثير "الرحمة". أعلن الله هذا لموسى لأنه أراد أن يرى "مجد" الله. وبالتالي فإن مجد الله هو إعلان صفاته المقدسة. وهو الأمر الذي فشل بيت إسرائيل في اختباره وإعلانه للعالم.

إن الشيطان هو الذي يلهم البشر ليقتلوا بلا رحمة بغض النظر عن الجنس أو العمر. والاختبار العظيم يكمن في التعرف على كيفية قراءة الكتاب المقدس بأمانة، دون تحريفه أو تحويره، حتى نتمكن من اكتشاف هذه الحقيقية. وإذا كنا جادين، فسنشعر في بعض الأحيان بأن مخلصنا كالعدو الذي يسعى لإلحاق الأذى بنا، ولكن إذا تعرفنا على رحمة الله، فسوف نتمسك بها حتى ننال البركة. إنني على قناعة راسخة بأن الفشل في فهم صفات إلهنا بشكل صحيح سيسمح للشيطان بالانتصار على أولئك الذين لم يبذلوا أي جهد لمعرفة الحقيقة. ولذلك فمن المهم والضروري جدًا أن نتعرف على الحقيقة المتعلقة بصفات الآب، فهي مسؤولية خطيرة ولا سيما إذا كنا نريد أن نُختَم تحت المطر المتأخر في نهاية الزمان. وبما أن عمل الشيطان الأول كان يتمثل في تشويه صفات الله، فإن الرسالة الأخيرة للعالم ستتمثل في الإعلان عن محبته وصفاته الحقيقية.

"ثُمَّ بَعْدَ هذَا رَأَيْتُ مَلاَكًا آخَرَ نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ، لَهُ سُلْطَانٌ عَظِيمٌ. وَاسْتَنَارَتِ الأَرْضُ مِنْ بَهَائِهِ" (رؤيا ١٨: ١).

يمثل هذا الملاك النازل من السماء رسالة أخيرة تُعطى للعالم بواسطة شعب الله في الأيام الأخيرة. تستنير الأرض "بمجده". وهذا المجد لا يأتي إلا من عند أبينا السماوي. إن العالم بأسره سيستنير بمجد الله (صفاته) عندما يقوم شعبه بالتبشير برسالة الرحمة الأخيرة لعالم يكتنفه الظلام والإعلان عن محبة الله وصفاته الحقيقية. فالكثيرون يقومون بتشويه صفاته ويسيئون تمثيلها.

"ارْفَعِي صَوْتَكِ بِقُوَّةٍ، يَا مُبَشِّرَةَ أُورُشَلِيمَ. ارْفَعِي لاَ تَخَافِي. قُولِي لِمُدُنِ يَهُوذَا: **هُوَذَا إِلهُكِ**. هُوَذَا السَّيِّدُ الرَّبُّ بِقُوَّةٍ يَأْتِي وَذِرَاعُهُ تَحْكُمُ لَهُ. هُوَذَا أُجْرَتُهُ مَعَهُ وَعُمْلَتُهُ قُدَّامَهُ" (إشعياء ٤٠: ٩ و١٠).

يتعين علينا أن نقول للناس "هوذا إلهكم!" انظروا إليه لأنه حري بنا أن ننظر إليه – لأنه هو "رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ" (خروج ٣٤: ٦).

خطة الله الأصلية في السيطرة على كنعان

فيما يتعلق باستيلاء إسرائيل على كنعان، أخبرهم الرب بالطريقة التي سيتم بها ذلك:

"أُرْسِلُ هَيْبَتِي أَمَامَكَ، وَأُزْعِجُ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَأْتِي عَلَيْهِمْ، وَأُعْطِيكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مُدْبِرِينَ. **وَأُرْسِلُ أَمَامَكَ الزَّنَابِيرَ. فَتَطْرُدُ الْحِوِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ مِنْ أَمَامِكَ**. لاَ

أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، لِئَلاَّ تَصِيرَ الأَرْضُ خَرِبَةً، فَتَكْثُرَ عَلَيْكَ وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. قَلِيلًا قَلِيلًا أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ إِلَى أَنْ تُثْمِرَ وَتَمْلِكَ الأَرْضَ" (خروج ٢٣: ٢٧ – ٣٠).

لا يوجد ذكر هنا لاستخدام السيف. كان شعب إسرائيل قد هرب من مصر وشهد المصريين يهزمون دون أدنى استخدام للسيف. قال لهم: "وأرسل أمامك الزنابير. فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك". لم يأمرهم قط بالصعود والقتال أو التحريض على أي نوع من الحرب.

خوف إسرائيل من الله

وبتخليصه إسرائيل من يد مصر، كان يريد لهم أن يتعرفوا عليه ويتعلموا الثقة به. لقد كان الإسرائيليين وهم يعيشون في مصر محاطين بروح الظلم والاستبداد. وعندما كانوا يرون الأطفال العبرانيين وهم يلقون في النهر واختبار العبودية القاسية التي تعرضوا لها في مصر، تأثر الكثيرون منهم بفكرة أن الله طاغية يمكن أن ينقلب عليهم في أي وقت ويقتلهم. وقد تم التعبير عن هذا الخوف منذ البدء، فنقرأ:

"وَقَالُوا لِمُوسَى: هَلْ لأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ فِي مِصْرَ أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟" (خروج ١٤: ١١).

يعود هذا الخوف إلى جنة عدن، عندما أقنع الشيطان آدم أن الله سيقتلهما عندما قال لهما أنهما بالتأكيد سيموتان.

"فَقَالَ: سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ" (تكوين ٣: ١٠).

أخفى الإسرائيليون خوفهم من الإله الذي كان في خيالهم باتهامهم لموسى. ومع ذلك، كان من الواضح أن موسى لم يخرج الشعب بقوته الخاصة. كان الشيطان يُجرِّب الشعب ليعتقدوا أن الله يريد قتلهم في البرية. ولم تكن هذه التجربة ممكنة إلا بسبب فهمهم الخاطئ لشخصية الله وصفاته. وقد استمر هذا الخوف ينمو في قلوب الإسرائيليين.

"وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: **لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ**، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ" (خروج ١٦: ٣).

يعبر الإسرائيليون عن خوفهم من الله ويعلنون صراحة أنهم تمنوا لو ماتوا بيد الله في مصر بدلاً من تحمل وضعهم الحالي. من الواضح أنهم لم يثقوا بالله، وقد أعمى الشيطان عقولهم فيما يتعلق بشخصيته وصفاته الحقيقية.

لحظة حاسمة مع عماليق

وفي الأصحاح التالي مباشرةً من سفر الخروج يُظهِر الإسرائيليون بشكل أكبر أفكارهم المنحرفة الفاسدة عن الله:

"وَعَطِشَ هُنَاكَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَاءِ، وَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى وَقَالُوا: «لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِتُمِيتَنَا وَأَوْلاَدَنَا وَمَوَاشِيَنَا بِالْعَطَشِ؟» فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلًا: «مَاذَا أَفْعَلُ بِهذَا الشَّعْبِ؟ بَعْدَ قَلِيل يَرْجُمُونَنِي»" (خروج ١٧: ٣ و٤).

نرى هنا أنهم يواصلون التذمر والاشتكاء على موسى، وبالتالي على الله، وإتهامه بأنه يريد قتلهم. بدأت نظرتهم الوثنية عن الإله العنيف تترجم إلى تهديدات بقتل موسى. ونظرًا لتمسكهم بهذه الفكرة الخاطئة عن هذا الإله العنيف، فقد تغيّروا إلى تلك الصورة، وبدأ الشعب يخطط للقيام بأعمال عنيفة ضد الرجل الذي استخدمه الله لإنقاذهم من مصر.

إن التذمر على الله والاشتكاء عليه والشك المستمر فيه يضعه في موضع بحيث يكون أقل قدرة على توفير الحماية لهم. لقد اختاروا الشيطان كسيدهم، والشيطان يطالب بالدخول لإهلاكهم. نرى الصلة بين تذمرهم على الماء وهجومهم على عماليق على النحو التالي:

"وَدَعَا اسْمَ الْمَوْضِعِ «مَسَّةَ وَمَرِيبَةَ» مِنْ أَجْلِ مُخَاصَمَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمِنْ أَجْلِ تَجْرِبَتِهِمْ لِلرَّبِّ قَائِلِينَ: «أَفِي وَسْطِنَا الرَّبُّ أَمْ لاَ؟». وَأَتَى عَمَالِيقُ وَحَارَبَ إِسْرَائِيلَ فِي رَفِيدِيمَ" (خروج ١٧: ٧ و٨).

بسبب عدم إيمانهم، وضعوا أنفسهم خارج سياج الحماية الإلهية، وقد أدى ذلك إلى محاربة أعدائهم لهم. ويسمح الله بحدوث ذلك كي يُخضِع شعبه (أي أنه يقوم بخلع حق فخذهم الروحي إذا جاز القول)، وكيعقوب، يجعلهم يتكلون عليه وحده أثناء محنتهم.

"مخاصمة" بني إسرائيل، أي تشاجرهم مع الله وتمردهم عليه، فتحت بابًا للشيطان ليهيج عماليق عليهم ويقومون بالهجوم عليهم. لم يكن هذا ليحدث لو وضع الشعب ثقتهم في الرب. ولخاف عماليق من الاقتراب إليهم أو المساس بهم. لا يوجد دليل على أن الإسرائيليين تابوا عن خطاياهم بحق الله. كانت لديهم وجهة نظر خاطئة عن الله باعتباره طاغية عازمًا على قتلهم. ولا يوجد ما يدل على شكرهم وامتنانهم عندما حصلوا على الماء.

ولم يعتذروا لموسى أو يقدموا له أي عبارات شكر لتضرعه من أجل الحصول على الماء. لا يوجد ما يؤكد على حدوث هذا. لقد هدد الإسرائيليون بقتل موسى. أيمكننا تخيل مقدار الأذى والضرر الذي كان سيحدثه ذلك لموسى؟ كان بإمكانه البقاء في بيته الصحراوي للاعتناء بأسرته ورعاية قطعانه وعدم الانشغال بشيء آخر. وربما شعر أيضًا ببشاعة نكران الجميل على ما فعله الله لهم. ولكان الأمر بمثابة تجربة حقيقية له. وبعد ذلك نجده وهو في هذه الحالة الذهنية، يتلقى الأخبار بأن عماليق قاموا بمهاجمة المستضعفين من الشعب ويقومون بقتلهم. وما حدث بعد ذلك له أهمية كبيرة. فهو قرار تم إتخاذه في ظل ظروف محبطة وتحت ضغط.

"فَقَالَ مُوسَى لِيَشُوعَ: انْتَخِبْ لَنَا رِجَالًا وَاخْرُجْ حَارِبْ عَمَالِيقَ. وَغَدًا أَقِفُ أَنَا عَلَى رَأْسِ التَّلَّةِ وَعَصَا اللهِ فِي يَدِي" (خروج ١٧: ٩).

السيف الموروث

الآية لا تقول: "وأمر الرب موسى". ولا تقول أن موسى ذهب إلى المَقدِس ليتوسل إلى الرب. ما تقوله هو أن موسى أخبر يشوع أن يذهب ويحارب. وأنا أتخيل مشهد موسى وهو يسير نحو يشوع، يتباطأ كل شيء وتأخذني أفكاري إلى الليلة التي أنقذ فيها إبراهيم ابن أخيه لوط باستخدام قوة السيف.

كان إبراهيم رجل سلام على نحو عام. ويوضح لنا الأصحاح العشرين من سفر التكوين كيف أن إبراهيم كذب من جهة زوجته، قائلاً إنها أخته، حتى لا يتسبب في مواجهة بينه وبين ملوك مصر. وفي تكوين الأصحاح الثالث عشر حدثت مخاصمة بين رعاة إبراهيم ورعاة لوط. لاحظ كيف قام إبراهيم باقتراح حل سلمي:

> "فَقَالَ أَبْرَامُ لِلُوطٍ: **لاَ تَكُنْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ**، وَبَيْنَ رُعَاتِي وَرُعَاتِكَ، لأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَانِ. أَلَيْسَتْ كُلُّ الأَرْضِ أَمَامَكَ؟ اعْتَزِلْ عَنِّي. إِنْ ذَهَبْتَ شِمَالًا فَأَنَا يَمِينًا، وَإِنْ يَمِينًا فَأَنَا شِمَالًا" (تكوين ١٣: ٨ و٩).

لكننا في تكوين الأصحاح الرابع عشر نقرأ عن حدوث حرب في المناطق المحيطة بالمكان الذي كان يعيش لوط فيه. ونجد أن لوط تعرض للأسر كنتيجة.

> "فَلَمَّا سَمِعَ أَبْرَامُ، أَنَّ أَخَاهُ سُبِيَ **جَرَّ غِلْمَانَهُ الْمُتَمَرِّنِينَ**، وِلْدَانَ بَيْتِهِ، ثَلاَثَ مِئَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وَتَبِعَهُمْ إِلَى دَانَ. وَانْقَسَمَ عَلَيْهِمْ لَيْلًا هُوَ وَعَبِيدُهُ **فَكَسَّرَهُمْ** وَتَبِعَهُمْ إِلَى حُوبَةَ الَّتِي عَنْ شِمَالِ دِمَشْقَ. وَاسْتَرْجَعَ كُلَّ الأَمْلاَكِ، وَاسْتَرْجَعَ لُوطًا أَخَاهُ أَيْضًا وَأَمْلاَكَهُ، وَالنِّسَاءَ أَيْضًا وَالشَّعْبَ" (تكوين ١٤: ١٤ – ١٦).

مرة أخرى، لا نقرأ، "وأمر الرب إبراهيم". هل سُرّ الرب بأعمال إبراهيم؟ ربما نظن أن الرب سُرّ بذلك، فالكاهن العظيم ملكي صادق جاء لإبراهيم وباركه. ولكن هل كانت البركة لمجازاته أم إنها كانت لتعزية أفكار إبراهيم التي أزعجته بسبب عدد الرجال الذين ماتوا بيده؟ يُقال أن ملكي صادق هو "ملك شاليم" أي ملك السلام. وربما يكون هذا الاسم اسمًا مبكرًا لمدينة أورشليم والتي تعني "مدينة السلام". فهل يعقل أن يأتي ملك السلام هذا ليبارك إبراهيم على الحرب وأعمال العنف التي ارتكبها؟ عندما اقترب إبراهيم من المدن لمحاربتها، هل أعلن لهم السلام أولاً؟ هل نجَّس إبراهيم الأرض "بالدماء التي سفكوها على الأرض؟" إذا تحلى إبراهيم بالمزيد من الصبر هنا، أليس الله كان قادرًا على إرسال الزنابير أمامه لطرد أعدائه من الأرض، أو أليس أنه كان قادرًا على إرسال ملائكة لإنقاذ لوط كما فعل لاحقًا في تكوين ١٨ و ١٩؟ هناك شيء واحد مؤكد وهو أن عبرانيين الأصحاح ١١ عندما يصف كل الأشياء التي فعلها إبراهيم بالإيمان، لا يذكر شيئًا إطلاقًا عن الحادثة المتعلقة بإنقاذ لوط.

وما فعله إبراهيم، الذي شغل منصبًا مشابهًا لمنصب آدم، سيكون جزءًا من الميول الموروثة للأجيال القادمة. وقيام إبراهيم برفع السيف كان سيؤدي إلى وقوع رعبة مظلمة عظيمة على نسله، وقد شعر بذلك في تلك الليلة المخيفة وهو يفكر في المستقبل المخيف الذي ينتظره بعدما قام بوضع يده على السيف.

"وَلَمَّا صَارَتِ الشَّمْسُ إِلَى الْمَغِيبِ، وَقَعَ عَلَى أَبْرَامَ سُبَاتٌ، وَإِذَا رُعْبَةٌ مُظْلِمَةٌ عَظِيمَةٌ وَاقِعَةٌ عَلَيْهِ" (تكوين ١٥: ١٢).

لاحظ الذنب الذي شعر به إيليا بعد لجوئه إلى السيف ضد أنبياء البعل:

"وَأَخْبَرَ أَخْآبُ إِيزَابَلَ بِكُلِّ مَا عَمِلَ إِيلِيَّا، **وَكَيْفَ أَنَّهُ قَتَلَ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ بِالسَّيْفِ**. فَأَرْسَلَتْ إِيزَابَلُ رَسُولًا إِلَى إِيلِيَّا تَقُولُ: «هكَذَا تَفْعَلُ الآلِهَةُ وَهكَذَا تَزِيدُ، إِنْ لَمْ أَجْعَلْ نَفْسَكَ كَنَفْسِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي نَحْوِ هذَا الْوَقْتِ غَدًا». فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ قَامَ وَمَضَى لأَجْلِ نَفْسِهِ، وَأَتَى إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ الَّتِي لِيَهُوذَا وَتَرَكَ غُلاَمَهُ هُنَاكَ. ثُمَّ سَارَ فِي الْبَرِّيَّةِ مَسِيرَةَ يَوْمٍ، حَتَّى أَتَى وَجَلَسَ تَحْتَ رَتَمَةٍ **وَطَلَبَ الْمَوْتَ لِنَفْسِهِ، وَقَالَ: قَدْ كَفَى الآنَ يَا رَبُّ. خُذْ نَفْسِي لأَنَّنِي لَسْتُ خَيْرًا مِنْ آبَائِي**" (ملوك الأول ١٩: ١ – ٤).

الأصحاح السابع من سف العبرانيين يخبرنا أن الرب يسوع، رئيس السلام، هو رئيس الكهنة على رتبة ملكي صادق. وكما ذكرنا سابقًا، فقد وبخ الرب يسوع بطرس لاستخدامه السيف. لقد أساءوا فهم المعنى الحقيقي لكلامه عندما قال: "لكِنِ الآنَ، مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا" (لوقا ٢٢: ٣٦). لقد ظنوا أنه يتحدث عن سيف مادي حقيقي. لاحظ الطريقة التي تترجم بها النسخة القياسية الدولية العدد ٣٨: "فقالوا: يا رب، هوذا هنا سيفان. فأجابهم قائلاً: كفاكم". إن القراءة السطحية لهذا النص قد تدفع القارئ للاعتقاد بأن الرب يسوع وافق على استخدامهم للسيف عندما قال أن سيفين يكفيان. إلا أن ما يأتي بعد ذلك يُظهِر موقف الرب يسوع الحقيقي تجاه السيف:

"فَلَمَّا رَأَى الَّذِينَ حَوْلَهُ مَا يَكُونُ، قَالُوا: «يَا رَبُّ، أَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ؟» وَضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى. **فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «دَعُوا إِلَى هذَا!» وَلَمَسَ أُذْنَهُ وَأَبْرَأَهَا**" (لوقا ٢٢: ٤٩ – ٥١). والنسخة المبسطة باللغة العربية تقول: "فَقالَ يَسُوعُ: «تَوَقَّفْ! كَفَى!» وَلَمَسَ أُذُنَ الخادِمِ فَشَفاها"

وفي إنجيل متى نجد النص الإضافي التالي:

"فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!" (متى ٢٦: ٥٢).

اسم ملكي صادق يعني "ملك البر". رأى يوحنا يسوع في رؤيا وهو جالس على فرس أبيض ويقول: "وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِب" (رؤيا ١٩: ١١). كيف يحكم الرب يسوع ويحارب بالعدل؟ ليس بالعنف، بل بكلمته:

"وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ **فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ**، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ. مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلاَمِي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. **اَلْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ**" (يوحنا ١٢: ٤٧ و٤٨).

الحرب التي يشترك فيها الله هي حرب كلامية - كلام الشيطان ضد كلام الله. الله لا يفعل شيئا خارج حدود البر والعدل. والحكم بالعدل والبر لا يجلب الضرر أو الموت على الآخرين.

"لاَ يَنْفَعُ الْغِنَى فِي يَوْمِ السَّخَطِ، **أَمَّا الْبِرُّ فَيُنَجِّي مِنَ الْمَوْتِ.** بِرُّ الْكَامِلِ يُقَوِّمُ طَرِيقَهُ، *أَمَّا الشِّرِّيرُ فَيَسْقُطُ بِشَرِّهِ*. بِرُّ الْمُسْتَقِيمِينَ يُنَجِّيهِمْ، أَمَّا الْغَادِرُونَ فَيُؤْخَذُونَ بِفَسَادِهِمْ" (أمثال ١١: ٤ – ٦).

"فِي سَبِيلِ الْبِرِّ حَيَاةٌ، وَفِي طَرِيقِ مَسْلَكِهِ لاَ مَوْتَ" (أمثال ١٢: ٢٨).

كيف ينتصر الله على أعدائه في الحرب؟ ليس بمعاقبتهم أو تعذيبهم أو قتلهم، بل بتغيير الأعداء وجعلهم أصدقاء. البر لا يقتل الشخص، بل يقتل "الإنسان العتيق" الذي يعيش في الخطية (تثنية ٣٢: ٣٩؛ رومية ٦: ٦ – ١١) وينجي من الموت. الطريقة التي ينتصر بها الله على الشر وينتقم بها منه هي بفعل الخير على الدوام.

"لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ. لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. **فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ.** لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعُ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ. لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ" (رومية ١٢: ١٧ – ٢١).

إن الله عندما يحكم بالعدل والبر، سينتج عن ذلك سلامًا وليس حربًا.

"فَيَقْضِي بَيْنَ الأُمَمِ وَيُنْصِفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرِينَ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكًَّا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. **لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ"** (إشعياء ٢: ٤).

تأخذني أفكاري بعد ذلك إلى قرية شكيم، حيث يستخدم حفيدا إبراهيم لاوي وشمعون السيف للانتقام من أجل أختهم المغتصبة. لقد تفاوضا بمكر على معاهدة سلام، ووعدا بأنه إن قام حمور وابنه شكيم وجميع الذكور في البيت بالختان، فسيمكنهم الزواج من البنات العبرانيات. سيكونون جميعًا قادرين على التزوج من بعض وأن يصبحوا بيتًا واحدًا.

"فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ، شِمْعُونَ وَلاَوِيَ أَخَوَيْ دِينَةَ، أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلاَ كُلَّ ذَكَرٍ. وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا. ثُمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ، لأَنَّهُمْ نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ. غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي الْحَقْلِ أَخَذُوهُ. وَسَبَوْا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرْوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ" (تكوين ٣٤: ٢٥ – ٢٩).

تجلت النتائج المترتبة على قيام إبراهيم بإنقاذ ابن أخيه بقدر أعظم في حياة لاوي وشمعون عندما طالبا أهل شكيم بالختان وذلك بمعونة دهاء إخوتهما الآخرين. وقد كان يعقوب على حق من جهة رثائه المتعلق

بأن نسله سيكون مكرهةً في أعين الكنعانيين والفرزيين، وأنهم كما أخذوا بالسيف، سيتبعهم السيف عبر الأجيال. لاحظ الكلمات التالية التي وبَّخ يعقوب من خلالها شمعون ولاوي:

"فَقَالَ يَعْقُوبُ لِشَمْعُونَ وَلاَوِي: كَدَّرْتُمَانِي بِتَكْرِيهِكُمَا إِيَّايَ عِنْدَ سُكَّانِ الأَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ، وَأَنَا نَفَرٌ قَلِيلٌ. فَيَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَيَضْرِبُونَنِي، فَأُبِيدُ أَنَا وَبَيْتِي" (تكوين ٣٤: ٣٠)

وهل كان لإخبار هذه القصة (أي قيام لاوي بقتل أهل شكيم انتقامًا لأخته) وإعادة إخبارها تأثيرًا على أبناء لاوي؟ وهل سيُجرَّب بعض أبناء لاوي إلى الافتخار بما فعله والدهم لحماية أخته؟ ألن يجعلهم الشيطان يظنون أن ما فعله أبوهم كان مبررًا لأنه كان بمثابة دفاعًا عن النفس؟ ألا يعد قبول تفسير التاريخ هذا أسهل من القول بأن جدك كان قاتلاً بدم بارد، وتحمل الخزي والعار المرتبط بذلك عبر الأجيال؟

كل هذه الأحداث تتكرر أيضًا في حياة موسى وهو في طريقه إلى يشوع. تأخذني أفكاري إلى وقت سابق في حياة موسى. لقد واجه موسى تجربة مماثلة لحماية واحد "من القوم والعشيرة" عندما رأى رجلاً مصريًا يضرب عبدًا عبرانيًا من أقربائه اليهود. فاستشاط موسى بالغضب الذي ورثه عن أبيه لاوي، وقام بقتل المصري، مشبعًا بذلك غضبه. لكن موسى تصرَّف باستعجال. لقد اعتقد إن الله أقامه لينقذ شعبه كرجل حرب. لكن الرب لم يقصد قط أن ينجز عمله باستخدام القوة أو باللجوء إلى الحرب.

"... هذِهِ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَى زَرُبَّابِلَ قَائِلًا: لاَ بِالْقُدْرَةِ وَلاَ بِالْقُوَّةِ، بَلْ بِرُوحِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ" (زكريا ٤: ٦).

هل ساعدت الأربعون سنة التي قضاها موسى في البرية على تخليصه من التجربة المتمثلة في حماية أهله وعشيرته من خلال قراراته الشخصية؟ وهل علم موسى أن عماليق قتلوا بالفعل بعض المستضعفين في المحلة؟ قال موسى قبل وقت وفاته بقليل:

"أُذْكُرْ مَا فَعَلَهُ بِكَ عَمَالِيقُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِكَ مِنْ مِصْرَ. **كَيْفَ لاَقَاكَ فِي الطَّرِيقِ وَقَطَعَ مِنْ مُؤَخَّرِكَ كُلَّ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَرَاءَكَ**، وَأَنْتَ كَلِيلٌ وَمُتْعَبٌ، وَلَمْ يَخَفِ اللهَ. فَمَتَى أَرَاحَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِكَ حَوْلَكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا، تَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. لاَ تَنْسَ" (تثنية ٢٥: ١٧ – ١٩).

هل حدث كل هذا بالطريقة التي كان يريدها الشيطان ومحاولته إغواء الإسرائيليين مرة أخرى على حمل السيف، مما جعلهم مكرهة عند سكان الأرض؟ هل خطط الشيطان لهذا حتى يتم تشويه صفات الله على مر العصور والأجيال؟ إن الإسرائيليين أنفسهم أساءوا فهم صفات الله، فهل من الممكن أن رفعهم للسيف كان مجرد مظهر من مظاهر الإله الذي كان في أفكارهم وتصوراتهم؟ وإذا كان هذا الإله المزعوم غير قادر على توفير المياه لهم عندما كانوا في حاجة لها، فلماذا يشعر بالقلق من الأساس بشأن موتهم على يد عماليق؟

لقد رأينا أن الله لم يقصد بتاتًا استخدام الحرب كوسيلة للاستيلاء على أرض الموعد. فهل من الآمن إذن أن نستنتج بأن هذا الإجراء غير المأذون به وغير المُصلَّى لأجله المتعلق بدعوة يشوع لمحاربة عماليق بحد السيف لم يكن شيئًا يريده الله؟ ومع ذلك، فقد سمح لهم الله بالسير في هذا الطريق لأن الله في تصور

غالبيتهم كان إلهًا عنيفًا ومحبًا للحرب. وعندما سُمِح للشيطان بقتل المصريين، كان يخبر الإسرائيليين طوال الوقت أن إلههم هو الذي كان يفعل هذه الأشياء. للمزيد حول الموضوع المتعلق بالضربات التي حلت على مصر، يرجى مراجعة كتابنا "الجلجثة في مصر".

وبمجرد إتخاذ الخطوة الأولى (فيما يتعلق بقتل الآخرين)، سيكون من الصعب جدًا عدم اللجوء إلى استخدام السيف مرة أخرى. لقد توسل إليهم الله بعد الأحداث المرتبطة بعماليق، وأراد إخبارهم أن هناك طريقة أخرى لا تستلزم استخدام السيف (خروج ٢٣: ٢٧ – ٣٠)، ولكن ما لم يتعرف الإسرائيليين على صفات الله الحقيقية، فسوف يُجرَّبون مرارًا وتكرارًا لاستخدامه.

وفي قصة قورح وداثان وأبيرام و الـ ٢٥٠ رئيسًا، نرى كيف أن هذا الخوف من الله الذي يريد قتلهم في البرية يدفعهم للبحث عن قيادة أخرى غير موسى وهارون. ثم عندما وصلوا إلى حدود كنعان قدموا تقريرًا شريرًا عن الأرض لأنهم لم يكونوا قادرين على تصديق أن الله يحبهم وسيفعل ما فيه خيرهم. لقد تجاهلوا كل حمايته ورعايته وركزوا على كل ما هو سلبي. وكان من السهل على الشيطان أن يجربهم بهذه الأشياء لأنهم كانوا يؤمنون بإله يريد قتلهم ويمكن أن يغير مزاجه في أي وقت. وفي كل مرة كان يُسمح للشيطان باختراق سياج الحماية وإيذاء الإسرائيليين، كان يخبرهم أن الله هو الذي يعاقبهم بنفسه معاقبة مباشرة. أيمكننا تخيل مقدار الحزن الذي كان يشعر به الله بسبب استعداد شعبه لتصديق مثل هذه الأكاذيب عنه؟

"وَتَذَمَّرَ عَلَى مُوسَى وَعَلَى هَارُونَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ لَهُمَا كُلُّ الْجَمَاعَةِ: لَيْتَنَا مُتْنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، أَوْ لَيْتَنَا مُتْنَا فِي هذَا الْقَفْرِ! **وَلِمَاذَا أَتَى بِنَا الرَّبُّ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ لِنَسْقُطَ بِالسَّيْفِ؟ تَصِيرُ نِسَاؤُنَا وَأَطْفَالُنَا غَنِيمَةً.** أَلَيْسَ خَيْرًا لَنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ؟" (سفر العدد ١٤: ٢ و٣).

"إِنَّ جَمِيعَ الرِّجَالِ الَّذِينَ رَأَوْا مَجْدِي وَآيَاتِي الَّتِي عَمِلْتُهَا فِي مِصْرَ وَفِي الْبَرِّيَّةِ، **وَجَرَّبُونِي الآنَ عَشَرَ مَرَّاتٍ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِي،** لَنْ يَرَوْا الأَرْضَ الَّتِي حَلَفْتُ لآبَائِهِمْ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ أَهَانُونِي لاَ يَرَوْنَهَا" (سفر العدد ١٤: ٢٢ و٢٣).

عندما أخبر الله إسرائيل إنهم لا يستطيعون الصعود والاستحواذ على الأرض بسبب خطيتهم، تمردوا مرة أخرى وعقدوا العزم على الصعود والقتال، في حين أن الله لم يأمرهم بالقتال.

كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ

دليل آخر على أن الله لم يكن يرغب في الاستيلاء على أرض كنعان بالحرب هو الرد الذي رد به الشعب على الله في جبل سيناء قبل إعطاء الوصايا العشر.

"فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَجَاءَ مُوسَى وَدَعَا شُيُوخَ الشَّعْبِ وَوَضَعَ قُدَّامَهُمْ كُلَّ هذِهِ الْكَلِمَاتِ

الَّتِي أَوْصَاهُ بِهَا الرَّبُّ.فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ مَعًا وَقَالُوا: **«كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ».** فَرَدَّ مُوسَى كَلاَمَ الشَّعْبِ إِلَى الرَّبِّ" (خروج ١٩: ٥ – ٨).

عندما كان الإسرائيليون لا يزالون في مصر، وعدهم الله بأنه سيفعل كل شيء من أجلهم لإخراجهم من أرض مصر. لقد وعد أن يفعل لهم سبعة أشياء.

"لِذلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ، وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا. فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي يُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ .وَأُدْخِلُكُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي أَنْ أُعْطِيَهَا لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. وَأُعْطِيَكُمْ إِيَّاهَا مِيرَاثًا. أَنَا الرَّبُّ" (خروج ٦: ٦ – ٨).

لا يوجد في هذه الوعود ما يشير إلى أن الله سيساعدهم على قتل أعدائهم في أرض كنعان. لقد كان الوعد المُقدَّم لهم رائعًا للغاية. ولكن ما هي الطريقة التي استجاب بها الإسرائيليون؟

"فَكَلَّمَ مُوسَى هكَذَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلكِنْ لَمْ يَسْمَعُوا لِمُوسَى مِنْ صِغَرِ النَّفْسِ، وَمِنَ الْعُبُودِيَّةِ الْقَاسِيَةِ" (خروج ٦: ٩).

لقد رفضوا تصديق أن الله سيفعل هذا لأجلهم. لقد اعتقدوا أن الله قد سمح بتعرضهم للعبودية وألقوا باللوم عليه بسبب ضيقاتهم ومعاناتهم، لذلك لم يثقوا في قدرة الله على إنقاذهم.

إلا أن الله أخرجهم من مصر على أي حال كما وعد إبراهيم وإسحاق ويعقوب. وعند سفح جبل سيناء استطاع الإسرائيليون أن يروا أنهم أحرار، ووضع الله أمامهم مرة أخرى الوعد بمباركتهم.

كانت استجابتهم متمثلة في أن كل شيء وعد الله بأن يفعله لأجلهم، سيفعلونه هم بأنفسهم. "كل ما تكلم به الرب نفعل". لقد أخبرهم الله أنه هو الذي سيفعل هذه الأشياء لأجلهم، لكن الإسرائيليون قالوا أنهم سيفعلون ذلك بأنفسهم.

وبدلاً من الارتياح في نعمة الله، أخبروا الرب أنهم سيكملون المهمة التي وعد الله أن ينجزها من أجلهم. ما الذي بإمكان الله فعله وهم يقلبون وعوده عليه؟ لقد احتملهم الله بفضل محبته العظيمة وسمح لهم باتباع طرقهم الخاصة في التعامل مع الأمور والاستيلاء على الأرض بواسطة الحرب. لم تكن تلك هي خطته، لكنه ذهب معهم وحاول أن يعلمهم دروسًا مهمة من خلال فهمهم الخاطئ.

بعد مرور أربعين عامًا ...

صرح الإسرائيليون مرارًا وتكرارًا أنهم يخشون أن يقتلهم الله في البرية. وكما سنستكشف لاحقًا، فقد سمح الله لوجهة نظرهم الخاصة عن الله أن تحكم عليهم. وجيل كامل مات في البرية على يد المُهلِك الذي خدعهم وجعلهم يؤمنون بإله أراد قتلهم في البرية.

"لأَنِّي ارْتِعَابًا ارْتَعَبْتُ فَأَتَانِي، وَالَّذِي فَزِعْتُ مِنْهُ جَاءَ عَلَيَّ" (أيوب ٣: ٢٥).

كان أيوب يخشى بشدة أن تصيبه بليةٌ. وهل من الممكن أن جزءًا من السبب المتعلق ببلية أيوب هو بسبب الخوف الذي شعر به؟ هل يمكن أن يساهم الخوف المستمر من النظام العالمي الجديد ومعسكرات الموت في السماح للشيطان بتحقيق ذلك؟

وبعدما مرت الأربعين سنة ووافت جيل بأكمله المنية، ذهبوا مرة أخرى إلى الحدود. لقد كانت خطايا الآباء في أفواه أبنائهم:

"وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ لأَنَّهُ لاَ خُبْزَ وَلاَ مَاءَ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ" (سفر العدد ٢١: ٥).

بتركيزهم المستمر على الجانب المظلم من الأحداث التي مروا بها، فقد فصلوا أنفسهم أكثر فأكثر عن الله. وبعدما جلبوا على أنفسهم المتاعب إذ جعلوا نصيبهم أقسى مما قصد الله، نسبوا إليه كل المشقات التي حلت بهم. وفي كل يوم من أيام رحلاتهم حفظتهم رحمة الله بأعجوبة حيث سار بهم في "الْقَفْرِ الْعَظِيمِ الْمَخُوفِ، مَكَانِ حَيَّاتٍ مُحْرِقَةٍ وَعَقَارِبَ وَعَطَشٍ حَيْثُ لَيْسَ مَاءٌ" تثنية ٨: ١٥).

"وَدَعَا مُوسَى جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ شَاهَدْتُمْ مَا فَعَلَ الرَّبُّ أَمَامَ أَعْيُنِكُمْ فِي أَرْضِ مِصْرَ بِفِرْعَوْنَ وَبِجَمِيعِ عَبِيدِهِ وَبِكُلِّ أَرْضِهِ، التَّجَارِبُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي أَبْصَرَتْهَا عَيْنَاكَ، وَتِلْكَ الآيَاتِ وَالْعَجَائِبَ الْعَظِيمَةُ. وَلكِنْ لَمْ يُعْطِكُمُ الرَّبُّ قَلْبًا لِتَفْهَمُوا، وَأَعْيُنًا لِتُبْصِرُوا، وَآذَانًا لِتَسْمَعُوا إِلَى هذَا الْيَوْمِ. فَقَدْ سِرْتُ بِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْبَرِّيَّةِ، لَمْ تَبْلَ ثِيَابُكُمْ عَلَيْكُمْ، وَنَعْلُكَ لَمْ تَبْلَ عَلَى رِجْلِكَ" (تثنية ٢٩: ٢ – ٥).

فإذا كان بعد كل هذه الدلائل الكثيرة على محبة الله لهم قد ظل الشعب سادرين في شكواهم وتذمراتهم فالرب سيحرمهم من حراسته، بالسماح لهم بالخروج من سياج حمايته، حتى يقودهم ذلك إلى تقدير رعايته الرحيمة ويرجعوا إلى الله تائبين متذللين. والله يفعل ذلك احترامًا لإرادتنا الحرة، فهو لن يفرض حمايته علينا، لكنه لن يبتعد عنا ابتعادًا تامًا. سيقف في المنتصف بيننا وبين العواقب المترتبة على أفعالنا بطريقة تقودنا إلى الاعتراف بحالتنا.

"مَنْ يَحْفُرْ هُوَّةً يَقَعُ فِيهَا [راجع سفر العدد ١٦]، وَمَنْ يَنْقُضْ جِدَارًا تَلْدَغْهُ حَيَّةٌ [راجع سفر العدد ٢١]" (جامعة ١٠: ٨).

"فَلِمَاذَا هَدَمْتَ جُدْرَانَهَا فَيَقْطِفَهَا كُلُّ عَابِرِي الطَّرِيقِ؟ .... يَا إِلهَ الْجُنُودِ، ارْجِعْ.ْ اطَّلِعْ مِنَ السَّمَاءِ وَانْظُرْ وَتَعَهَّدْ هذِهِ الْكَرْمَةَ، وَالْغَرْسَ الَّذِي غَرَسَتْهُ يَمِينُكَ، وَالابْنَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِكَ" (مزمور ٨٠: ١٢ و ١٤ – ١٥).

موسى يضرب الصخرة بتمردٍ

كان الإسرائيليون يبتعدون أكثر فأكثر عن الله، وقدرتهم على تقدير صفاته كانت تتناقص باستمرار. وبعد مرور أربعين عامًا عادت حليمة لعادتها القديمة إذ بدأوا يتذمرون لعدم وجود ما يكفي من الماء، وكان ردهم مرة أخرى ردًا مماثلاً لردودهم السابقة، لكنهم في هذه المرة كانوا أكثر صراحةً.

"وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟" (سفر العدد ٢١: ٥).

كان الشيطان يجرّب موسى طوال هذا الوقت ويشجعه على التخلي عن هؤلاء البؤساء. امتحن الله موسى في هذه النقطة لمصلحته وذلك عندما كان موسى على الجبل مع الله وكان الإسرائيليون يعبدون العجل الذهبي (خروج ٣٢: ٩-١٤)، وحمدًا لله فقد استجاب موسى لروح المسيح وطلب من الله أن يصفح عن الشعب، وهو ما فعله الله بكل محبة ولطف. ولكن الآن، بعد أن رأى موسى أن الشعب صار أسوأ مما كان عليه من قبل، فقد استسلم للتجربة.

"وَجَمَعَ مُوسَى وَهَارُونُ الْجُمْهُورَ أَمَامَ الصَّخْرَةِ، فَقَالَ لَهُمُ: «اسْمَعُوا أَيُّهَا الْمَرَدَةُ، أَمِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ نُخْرِجُ لَكُمْ مَاءً؟». وَرَفَعَ مُوسَى يَدَهُ وَضَرَبَ الصَّخْرَةَ بِعَصَاهُ مَرَّتَيْنِ، فَخَرَجَ مَاءٌ غَزِيرٌ، فَشَرِبَتِ الْجَمَاعَةُ وَمَوَاشِيهَا" (سفر العدد ٢٠: ١٠ و١١).

عندما استسلم موسى لهذه التجربة، فقد مهد ذلك الطريق أمام الشيطان للتلاعب بأذهان الإسرائيليين. لقد صلى من أجلهم ووقف بينهم وبين الشيطان بطرق عديدة جدًا. لكن هذه الخطوة أعطت الشيطان الأفضلية. لقد فَرِحَ الشيطان وتهلّل إذ إنه سيتمكن من قتل هارون نتيجةً لهذا الفشل.

"يُضَمُّ هَارُونُ إِلَى قَوْمِهِ لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الأَرْضَ الَّتِي أَعْطَيْتُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكُمْ عَصَيْتُمْ قَوْلِي عِنْدَ مَاءِ مَرِيبَةَ" (سفر العدد ٢٠: ٢٤).

إسرائيل ينذر نذرًا

وإذ ازداد تسلط الشيطان على أذهان الإسرائيليين، حرَّضهم على عقد صفقة مع الله، الإله الذي كان في تصورهم والذي كان على استعداد لقتل الناس. لقد تعرضوا للهجوم من قبل قبيلة أخرى بسبب خطاياهم، والآن وهم في حالة من اليأس الشديد نذروا نذرًا.

"وَلَمَّا سَمِعَ الْكَنْعَانِيُّ مَلِكُ عَرَادَ السَّاكِنُ فِي الْجَنُوبِ أَنَّ إِسْرَائِيلَ جَاءَ فِي طَرِيقِ أَتَارِيمَ، حَارَبَ إِسْرَائِيلَ وَسَبَى مِنْهُمْ سَبْيًا. **فَنَذَرَ إِسْرَائِيلُ نَذْرًا لِلرَّبِّ وَقَالَ: «إِنْ دَفَعْتَ هؤُلاَءِ الْقَوْمَ إِلَى يَدِي أُحَرِّمُ مُدُنَهُمْ». فَسَمِعَ الرَّبُّ لِقَوْلِ إِسْرَائِيلَ**، وَدَفَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ، فَحَرَّمُوهُمْ وَمُدُنَهُمْ. فَدُعِيَ اسْمُ الْمَكَانِ «حُرْمَةَ»" (سفر العدد ٢١: ١ – ٣).

لم يطلب الله من الإسرائيليين أن يقتلوا أعدائهم. إن وجهة نظرهم الخاطئة عن الله جعلتهم يعتقدون أنه يريدهم أن ينذروا نذرًا متعطشًا للدماء كهذا، وأن هذا النذر سيحظى بموافقته وأنه سيساعدهم. تخبرنا هذه الآيات أن الرب سمع لقولهم. لماذا سمع الرب لقولهم؟ ألن يؤدي ذلك إلى ترسيخ الفكرة القائلة بأن الله أرادهم أن يقتلوا أعدائهم في أذهانهم؟ نجد الإجابة على هذا السؤال في مثل الوزنات:

"ثُمَّ جَاءَ آخَرُ قَائِلًا: يَا سَيِّدُ، هُوَذَا مَنَاكَ الَّذِي كَانَ عِنْدِي مَوْضُوعًا فِي مِنْدِيل، لأَنِّي كُنْتُ أَخَافُ مِنْكَ، إِذْ أَنْتَ إِنْسَانٌ صَارِمٌ، تَأْخُذُ مَا لَمْ تَضَعْ وَتَحْصُدُ مَا لَمْ تَزْرَعْ. فَقَالَ لَهُ: **مِنْ فَمِكَ أَدِينُكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ**. عَرَفْتَ أَنِّي إِنْسَانٌ صَارِمٌ، آخُذُ مَا لَمْ أَضَعْ، وَأَحْصُدُ مَا لَمْ

أَزْرَعْ، فَلِمَاذَا لَمْ تَضَعْ فِضَّتِي عَلَى مَائِدَةِ الصَّيَارِفَةِ، فَكُنْتُ مَتَى جِئْتُ أَسْتَوْفِيهَا مَعَ رِبًا؟" (لوقا ١٩: ٢٠ – ٢٣).

العبد الكسلان تخيل أن الرب هو "إنسان صارم". ووفقًا لهذا الإيمان، نال دينونته. كما يقول الكتاب:

"هكَذَا تَكَلَّمُوا وَهكَذَا افْعَلُوا كَعَتِيدِينَ أَنْ تُحَاكَمُوا بِنَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ. لأَنَّ الْحُكْمَ هُوَ بِلاَ رَحْمَةٍ لِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ رَحْمَةً، وَالرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ" (يعقوب ٢: ١٢ و١٣).

سمح الله للإنسان الذي كانت له نظرة خاطئة عنه أن يُدان وفقًا لأفكاره الخاصة. كيف يفعل الله هذا؟

"لاَ تَضِلُّوا! اَللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا" (غلاطية ٦: ٧).

"حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ" (خروج ٣٤: ٧).

لقد تخطت الأمم المجاورة لإسرائيل حدود الحماية الإلهية. رفض إسرائيل قبول حقيقة محبة الله. استمروا في التفكير أنه يرغب في إلحاق الأذى بهم وبباقي الناس. وعندما جاء الوقت الذي سينذر فيه إسرائيل نذرًا متعلقًا بقتل أعدائهم، سمع لقولهم، ليس كمكافأة على أمانتهم، وإنما للسماح لهم أن يحصلوا على نظرتهم الخاطئة عن الله ويعاقب الخطية بالخطية (في هذه الحالة، معاقبة خطية الكنعانيين بخطية الإسرائيليين). "الشَّرُّ يُمِيتُ الشِّرِّيرَ ..." (مزمور ٣٤: ٢١). لقد افتقد ذنوب الآباء في الأبناء كما قال من قبل. وعندما سمح الله لإسرائيل بإيقاع الهزيمة بأعدائهم في هذا السياق، فقد كان يسمح لهم بالتشبث باعتقادهم بأن الله هو قاتل. لقد كان يحاول لفترة طويلة أن يظهر لهم محبته وصفاته الحقيقية بإغداق نعمه وبركاته الكثيرة عليهم، لكنه في النهاية سمح لهم بالحفاظ على أفكارهم القاسية الخاطئة وجعلها تدينهم. وهو بالضبط ما فعله فيما بعد لرؤساء اليهود غير المؤمنين:

"لَكِنَّ بُولُسَ وَبَرْنابا تَكَلَّما بِجُرأةٍ. وَقالا: كانَ ضَرُورِيّاً أَنْ نُوصِلَ رِسالَةَ اللهِ إِلَيْكُمْ أَنْتُمْ أَوَّلاً. لَكِنَّكُمْ رَفَضْتُموها، **فَحَكَمتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ** بِأَنَّكُمْ لا تَستَحِقُّونَ الحَياةَ الأَبَدِيَّةَ. فَها نَحْنُ الآنَ نَتَوَجَّهُ بِالبِشارَةِ إِلَى غَيرِ اليَهُودِ" (أعمال ١٣: ٤٦ – الترجمة المبسطة).

الله يعطي إسرائيل ما كانوا يريدون

قبل فشل إسرائيل الأول عندما وصلوا إلى حدود كنعان، نجدهم يشتكون ويتذمرون بسبب رغبتهم في أكل اللحم. يبكون في خيامهم لأنهم يريدون يريدون تناول لحم. وبسبب ذلك يرفع موسى شكواه للرب بسبب الأعباء التي يتعين عليه حملها.

"فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى الشَّعْبَ يَبْكُونَ بِعَشَائِرِهِمْ، كُلَّ وَاحِدٍ فِي بَابِ خَيْمَتِهِ، وَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ جِدًّا، سَاءَ ذلِكَ فِي عَيْنَيْ مُوسَى. فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَى عَبْدِكَ؟ وَلِمَاذَا لَمْ أَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ حَتَّى أَنَّكَ وَضَعْتَ ثِقْلَ جَمِيعِ هذَا الشَّعْبِ عَلَيَّ" (سفر العدد ١١: ١٠ و١١).

يكشف هذا الاختبار الذي واجهه موسى عن عناصر في صفاته لا تزال تعكس فهمًا خاطئًا لصفات الله.

"لاَ أَقْدِرُ أَنَا وَحْدِي أَنْ أَحْمِلَ جَمِيعَ هذَا الشَّعْبِ لأَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَيَّ. فَإِنْ كُنْتَ تَفْعَلُ بِي هكَذَا، فَاقْتُلْنِي قَتْلًا إِنْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، فَلاَ أَرَى بَلِيَّتِي" (سفر العدد ١١: ١٤ و١٥).

يطلب موسى من الله أن يقتله ليحرره من الحمل. وقد رأينا سابقًا أن إيليا واجه اختبارًا مماثلاً في التعامل مع إيزابل. وأي شخص يشعر بالضيق التام من ظروف حياته بإمكانه أن يتفهم الأشياء التي شعر بها موسى؛ ومع ذلك فهذه المشاعر تكشف عن قلة الثقة بالله وتعاملاته معنا. ولمساعدة موسى، أمره الله قائلاً:

"اجْمَعْ إِلَيَّ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ شُيُوخُ الشَّعْبِ وَعُرَفَاؤُهُ، وَأَقْبِلْ بِهِمْ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ فَيَقِفُوا هُنَاكَ مَعَكَ" (سفر العدد ١١: ١٦).

ومع ذلك، لم تكن خطة الله الأصلية أن يرسم هؤلاء السبعين رجلاً. وهؤلاء الرجال لما تم اختيارهم لو أن موسى أبدى إيمانًا يتناسب مع البراهين التي حصل عليها لقدرة الله وصلاحه، ولو أنه اعتمد على الله اعتمادًا كليًا، لكان أرشده على الدوام وأعطاه قوة لمواجهة كل الطوارئ.

وما نتج عن ذلك هو أن هارون ومريم شعرا بأن موسى قد استهان بهما عندما قام باختيار السبعين شيخًا دون استشارتهما (سفر العدد ١٢). وقد أدى ذلك إلى المزيد من المشاكل.

وأعطى الرب بعد ذلك للإسرائيليين سؤل قلبهم ورغبتهم في أكل اللحم.

"وَلِلشَّعْبِ تَقُولُ: تَقَدَّسُوا لِلْغَدِ فَتَأْكُلُوا لَحْمًا، لأَنَّكُمْ قَدْ بَكَيْتُمْ فِي أُذُنَيِ الرَّبِّ قَائِلِينَ: مَنْ يُطْعِمُنَا لَحْمًا؟ إِنَّهُ كَانَ لَنَا خَيْرٌ فِي مِصْرَ. فَيُعْطِيكُمُ الرَّبُّ لَحْمًا فَتَأْكُلُونَ. تَأْكُلُونَ لاَ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلاَ يَوْمَيْنِ، وَلاَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَلاَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، وَلاَ عِشْرِينَ يَوْمًا، بَلْ شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ مَنَاخِرِكُمْ، وَيَصِيرَ لَكُمْ كَرَاهَةً، لأَنَّكُمْ رَفَضْتُمُ الرَّبَّ الَّذِي فِي وَسَطِكُمْ وَبَكَيْتُمْ أَمَامَهُ قَائِلِينَ: لِمَاذَا خَرَجْنَا مِنْ مِصْرَ؟" (سفر العدد ١١: ١٨ – ٢٠).

"أَهَاجَ شَرْقِيَّةً فِي السَّمَاءِ، وَسَاقَ بِقُوَّتِهِ جَنُوبِيَّةً. وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ لَحْمًا مِثْلَ التُّرَابِ، وَكَرَمْلِ الْبَحْرِ طُيُورًا ذَوَاتِ أَجْنِحَةٍ. وَأَسْقَطَهَا فِي وَسَطِ مَحَلَّتِهِمْ حَوَالَيْ مَسَاكِنِهِمْ. فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جِدًّا، **وَأَتَاهُمْ بِشَهْوَتِهِمْ**" (مزمور ٧٨: ٢٦ – ٢٩).

وبنفس الطريقة استجاب الله للنذر الذي نذره إسرائيل بشأن قتل عراد الملك الكنعاني. لقد أعطاهم ما لم يكن لخيرهم لأنهم كانوا يرغبون في ذلك. تمامًا كما فعل فيما بعد عندما أراد إسرائيل أن يحكم عليهم ملك مثل باقي الأمم الأخرى:

"فَاجْتَمَعَ كُلُّ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ وَجَاءُوا إِلَى صَمُوئِيلَ إِلَى الرَّامَةِ وَقَالُوا لَهُ: «هُوَذَا أَنْتَ قَدْ شِخْتَ، وَابْنَاكَ لَمْ يَسِيرَا فِي طَرِيقِكَ. فَالآنَ **اجْعَلْ لَنَا مَلِكًا يَقْضِي لَنَا كَسَائِرِ الشُّعُوبِ**». فَسَاءَ الأَمْرُ فِي عَيْنَيْ صَمُوئِيلَ إِذْ قَالُوا: «أَعْطِنَا مَلِكًا يَقْضِي لَنَا». وَصَلَّى صَمُوئِيلُ إِلَى الرَّبِّ. فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: «**اسْمَعْ لِصَوْتِ الشَّعْبِ فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَ لَكَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُوكَ أَنْتَ بَلْ إِيَّايَ رَفَضُوا** حَتَّى لاَ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ. حَسَبَ كُلِّ أَعْمَالِهِمِ الَّتِي عَمِلُوا مِنْ

يَوْمِ أَصْعَدْتُهُمْ مِنْ مِصْرَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ **وَتَرَكُونِي** وَعَبَدُوا آلِهَةً أُخْرَى، هكَذَا هُمْ عَامِلُونَ بِكَ أَيْضًا. فَالآنَ **اسْمَعْ لِصَوْتِهِمْ**. وَلكِنْ أَشْهِدَنَّ عَلَيْهِمْ وَأَخْبِرْهُمْ بِقَضَاءِ الْمَلِكِ الَّذِي يَمْلِكُ عَلَيْهِمْ»" (صموئيل الأول ٨: ٤ – ٩).

"هَلاَّكُكَ يَا إِسْرَائِيلُ أَنَّكَ عَلَيَّ، عَلَى عَوْنِكَ. فَأَيْنَ هُوَ مَلِكُكَ حَتَّى يُخَلِّصَكَ فِي جَمِيعِ مُدُنِكَ؟ وَقُضَاتُكَ حَيْثُ قُلْتَ: أَعْطِنِي مَلِكًا وَرُؤَسَاءَ؟ **أَنَا أَعْطَيْتُكَ مَلِكًا بِغَضَبِي** وَأَخَذْتُهُ بِسَخَطِي" (هوشع ١٣: ٩ – ١١).

نرى في اختيار السبعين شيخًا وفي إرسال السلوى أن الله كان يعطي لإسرائيل ما كانوا يريدون، لكنه كان يعلم أن هذه الأشياء لم تكن الأفضل لهم.

التحرر من صنم الخوف

أدلى الله على لسان نبيه حزقيال بأروع إعلان:

"لأَجْلِ ذلِكَ كَلِّمْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي يُصْعِدُ أَصْنَامَهُ إِلَى قَلْبِهِ، وَيَضَعُ مَعْثَرَةَ إِثْمِهِ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، ثُمَّ يَأْتِي إِلَى النَّبِيِّ، **فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ أُجِيبُهُ حَسَبَ كَثْرَةِ أَصْنَامِهِ**، لِكَيْ آخُذَ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ **بِقُلُوبِهِمْ**، لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ قَدِ ارْتَدُّوا عَنِّي بِأَصْنَامِهِمْ" (حزقيال ١٤: ٤ و٥).

تعقيبًا على حزقيال الأصحاح ١٤، يقول آدم كلارك:

"لاحظت في الكثير من الأحيان أنه من الشائع في اللغة العبرية أن يتم ذكر شيء على أنه من صنع الرب، لكنه (أي الرب) في حقيقة الأمر يعاني منه أو يسمح به، إذ أن حكم الله هو حكم مطلق وشامل، ولا يمكن لشيء مهما كان صغره أن يحدث بدون إرادته أو إذنه" (تفسير آدم كلارك للكتاب المقدس).

نرى المبدأ الموصوف في حزقيال ١٤ والمتعلق باستجابة الله للبشر وفقًا لأصنامهم في الموقف التالي.

"أُرْسِلُ (أطلق) هَيْبَتِي [صنم] أَمَامَكَ، وَأُزْعِجُ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَأْتِي عَلَيْهِمْ، وَأُعْطِيكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مُدْبِرِينَ" (خروج ٢٣: ٢٧).

كانت الأمم المجاورة لإسرائيل في كنعان ينظرون إلى الله باعتباره إلهًا محبًا للانتقام والقتل. وحقيقة أن بعض الأمم كانوا يضحون بأبنائهم لإرضاء آلهتهم كانت تكشف عن الطبيعة الاستبدادية المحبة للقتل التي كانت تتسم بها آلهتهم. كلمة "هيبة" أو خوف الوارد ذكرها في خروج ٢٣: ٢٧ يمكن ترجمتها لصنم، كما هو الحال في إرميا ٥٠: ٣٨.

"حَرٌّ عَلَى مِيَاهِهَا فَتَنْشَفُ، لأَنَّهَا أَرْضُ مَنْحُوتَاتٍ هِيَ، وَ**بِالأَصْنَامِ** تُجَنُّ" (إرميا ٥٠: ٣٨).

وحيث أن الأمم كانت تعبد آلهة الرعب والموت، فقد سمح الله لخطية إسرائيل أن تجلب على هذه الأمم ما كانت ترهبه وتؤمن به. في حديثه عن الوثنيين، قال الرسول بولس:

"الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا حُكْمَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ، لاَ يَفْعَلُونَهَا فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يُسَرُّونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ" (رومية ١: ٣٢).

تسبب الشعور بالذنب الناتج عن خطايا الكنعانيين في خوفهم من الموت والهلاك. وبعد استحواذ الشيطان على قلوب الإسرائيليين وإقناعهم بأن الله يريد منهم قتل الآخرين، استطاع بعد ذلك أن يقنعهم بقتل هؤلاء الأمم لأن الله توقف الله عن حمايتهم وقد امتلأ كأس إثمهم. وهكذا، فقد حلَّ رعب الآلهة الكاذبة التي كانوا يعبدونها عليهم كما سبق الله وتوقع. إلا أن ذلك قد تحقق بواسطة الإسرائيليين، وليس بوسائل التدمير الذاتي.

دينونة بلا رحمة

يؤكد النص التالي بكل وضوح على أن الله كان يعطي لإسرائيل ما يريدون:

"وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ" (تثنية ٧: ٢).

إن التعليمات المتعلقة بالقضاء التام على أعدائهم بلا رحمة، على الرغم من كونها منسجمة مع الإله الذي كان يتصوره الإسرائيليون، لم تكن انعكاسًا لإله السماء الحقيقي. يقول الكتاب المقدس أن الحُكم (أو الدينونة) هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة.

"لأَنَّ الْحُكْمَ هُوَ بِلاَ رَحْمَةٍ لِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ رَحْمَةً، وَالرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ" (يعقوب ٢: ١٣).

يمكن قراءة هذا النص بطريقتين. أولئك الذين لا يَرحمون سيحكمون على الآخرين بلا رحمة، وأيضًا أولئك الذين لا يَرحمون لن ينالوا رحمةً عندما يُدانون ويُحكَم عليهم. تعكس فكرة العدالة الخالية من الرحمة فكر الشيطان.

تؤكد أسفار الوحي المقدس على أن الله رحيم على الدوام:

"فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ" (خروج ٣٤: ٦).

"احْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ" (أخبار الأيام الأول ١٦: ٣٤).

إن عدل الله لا يستبعد قط رحمته. هذا من اختراع الشيطان. نرى هذا في نمط التفكير العبراني الشائع والمعروف *بالتوازي العبراني*. فالكلمتان التاليتان المكتوبتان بالخط العريض يحملان نفس المعنى، وكذلك أيضًا الكلمتان الموضوع تحتهما خط.

"**الْعَدْلُ** وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ. **الرَّحْمَةُ** وَالأَمَانَةُ تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ" (مزمور ٨٩: ١٤).

كان روح الشيطان يحكم الإسرائيليين عندما قطعوا عهدًا بقتل الملك الكنعاني. لقد كانوا يتكلمون على الله ويشتكون منه وكانوا يعلنون تمردهم عليه في كل مرة تتيح لهم الفرصة. إلا أن الله كان ينذرهم ويشجعهم على الالتزام بوصاياه والسير على نهجها:

"فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ اسْمَعِ الْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ الَّتِي أَنَا أُعَلِّمُكُمْ لِتَعْمَلُوهَا، لِكَيْ تَحْيَوْا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ الَّتِي الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكُمْ يُعْطِيكُمْ" (تثنية ٤: ١).

"جَمِيعَ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ تَحْفَظُونَ لِتَعْمَلُوهَا، لِكَيْ تَحْيَوْا وَتَكْثُرُوا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لآبَائِكُمْ" (تثنية ٨: ١).

إلا أن إسرائيل رفض إطاعة الله، وبالتالي تمكّن الشيطان من السيطرة على رغباتهم في الحكم والإدانة بلا رحمة. أعطاهم الله ما يريدون على الرغم من أن ذلك لم يكن خطته. كما إنه أعطى الأمم الوثنية ما كانوا يخشونه لأنهم لم يعودوا ضمن نطاق حمايته؛ وبالتالي فقد استخدم الشيطان إسرائيل لقتل الكنعانيين. وما فعله الشيطان أدى إلى هلاك الملايين بسبب فهمهم الباطل لصفات الله والاعتقاد بأنه إله يرغب في قتل الناس وإهلاكهم. وسيستخدم الشيطان إلى الأبد هذا النموذج لتشجيع المؤمنين بيهوه على شن حرب جسدية ضد أعدائهم، وسيُسرُّ بأن المؤمنين يقاتلون ويسكبون الدماء باسمه، فيكره غير المؤمنين اسم الله.

لمحات من المجد

نحصل على لمحات عن خطة الله في التعامل مع أعداء إسرائيل بدون أسلحة في نصوص كهذه:

"ثُمَّ عَبَرْتُمُ الأُرْدُنَّ وَأَتَيْتُمْ إِلَى أَرِيحَا. فَحَارَبَكُمْ أَصْحَابُ أَرِيحَا: الأَمُورِيُّونَ وَالْفِرِزِّيُّونَ وَالْكَنْعَانِيُّونَ وَالْحِتِّيُّونَ وَالْجِرْجَاشِيُّونَ وَالْحِوِّيُّونَ وَالْيَبُوسِيُّونَ، فَدَفَعْتُهُمْ بِيَدِكُمْ. وَأَرْسَلْتُ قُدَّامَكُمُ الزَّنَابِيرَ وَطَرَدْتُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ، أَيْ مَلِكَيِ الأَمُورِيِّينَ، **لاَ بِسَيْفِكَ وَلاَ بِقَوْسِكَ**" (يشوع ٢٤: ١١ و١٢).

"لَيْسَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحَارِبُوا فِي هذِهِ. قِفُوا اثْبُتُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ مَعَكُمْ يَا يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمُ. لاَ تَخَافُوا وَلاَ تَرْتَاعُوا. غَدًا اخْرُجُوا لِلِقَائِهِمْ وَالرَّبُّ مَعَكُمْ. فَخَرَّ يَهُوشَافَاطُ لِوَجْهِهِ عَلَى الأَرْضِ، وَكُلُّ يَهُوذَا وَسُكَّانُ أُورُشَلِيمَ سَقَطُوا أَمَامَ الرَّبِّ سُجُودًا لِلرَّبِّ. فَقَامَ اللاَّوِيُّونَ مِنْ بَنِي الْقَهَاتِيِّينَ وَمِنْ بَنِي الْقُورَحِيِّينَ لِيُسَبِّحُوا الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ جِدًّا. وَبَكَّرُوا صَبَاحًا وَخَرَجُوا إِلَى بَرِّيَّةِ تَقُوعَ. وَعِنْدَ خُرُوجِهِمْ وَقَفَ يَهُوشَافَاطُ وَقَالَ: «اسْمَعُوا يَا يَهُوذَا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ، آمِنُوا بِالرَّبِّ إِلهِكُمْ فَتَأْمَنُوا. آمِنُوا بِأَنْبِيَائِهِ فَتُفْلِحُوا». **وَلَمَّا اسْتَشَارَ الشَّعْبَ أَقَامَ مُغَنِّينَ لِلرَّبِّ وَمُسَبِّحِينَ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ أَمَامَ الْمُتَجَرِّدِينَ وَقَائِلِينَ: «احْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ».** وَلَمَّا ابْتَدَأُوا فِي الْغِنَاءِ وَالتَّسْبِيحِ جَعَلَ الرَّبُّ أَكْمِنَةً عَلَى بَنِي عَمُّونَ وَمُوآبَ وَجَبَلِ سَعِيرِ الآتِينَ عَلَى يَهُوذَا فَانْكَسَرُوا. وَقَامَ بَنُو عَمُّونَ وَمُوآبُ عَلَى سُكَّانِ جَبَلِ سَعِيرٍ لِيُحَرِّمُوهُمْ وَيُهْلِكُوهُمْ. وَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ سُكَّانِ سَعِيرٍ سَاعَدَ بَعْضُهُمْ عَلَى إِهْلاَكِ بَعْضٍ" (أخبار الأيام الثاني ٢٠: ١٧ – ٢٣).

لذلك عندما سُمِح لإسرائيل بالاستيلاء على أرض كنعان بقوة الحرب، لم يكن هذا ما قصده الله في الأصل. وحيث أن إسرائيل كان يخاف باستمرار من أن الله يحاول قتلهم مما جعلهم يشكون في عنايته المُحِبة لهم، فقد تمكّن الشيطان من وزَّرهم على التعهد لله بأن يقتلوا الكنعانيين والأمم الوثنية الأخرى. وعلى الرغم من أن الانتصار كان حليف إسرائيل في المعركة، إلا أن الشيطان انتصر في المعركة المتعلقة بصفات الله. لقد هُزِم الإسرائيليين بانتصارهم وصاروا عبيدًا لأفكار خاطئة عن الله.

التعرُّف على الله من خلال نور المسيح

لقد أعطينا الفرصة في هذه الأيام الأخيرة لأن نرى صفات الله كما هي في حقيقتها. وفي وجه يسوع المسيح يمكننا البدء في التعرف على نوايا أبينا السماوي الحقيقية.

"قَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ: يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! **اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ**، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ **يَعْمَلُ الأَعْمَالَ**" (يوحنا ١٤: ٨ – ١٠).

"وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. **أَنَا [يسوع] مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ.** الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ" (يوحنا ١٧: ٣ و٤).

يسوع هو "صورة الله غير المنظور" (كولوسي ١: ١٥)، وهو أيضًا "بهاء مجده، ورسم جوهره" (عبرانيين ١: ٣). كم عدد الأشخاص الذين قتلهم يسوع بحد السيف؟ وكم عدد الذين حرقهم بالنار؟ وكم عدد الأطفال الذين عذَّبهم حتى الموت؟ ولا واحد بكل تأكيد! فأطلب إذن من أولئك الذين يعتقدون أن الله جاء ليهلك حياة الناس، أن يتذكروا كلمات الرب يسوع التالية:

"فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ». فَمَضَوْا إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى" (لوقا ٩: ٥٥ و٥٦).

إذا استمرينا في تصديق الكذبة القائلة بأن الله سيقتل شخصيًا أولئك الذين يقاومونه، فسيأتي إلينا يسوع في وقت ضيقة يعقوب كعدو وسنتركه قبل أن نحصل على بركته. فقط أولئك الذين يجدون أبانا رحيمًا حقًا سيصمدون وسيُختَمون وسيرفضون أكذوبة الشيطان القائلة بأن الله طاغية مستبد يجب أن نخاف منه. ولن يظهر شر الإنسان ضد الله بشكل كامل إلا عندما تتم أحداث ضيقة يعقوب (المشار إليها في إرميا ٣٠: ٧)، هذا الخوف الذي يتصوَّر الله على أنه قاتل شخصي لأولئك الذين يفكرون بشكل مختلف عنه.

هل سيهزمك الشيطان بسبب انتصار إسرائيل على كنعان بحد السيف، أم سترى أن أبينا السماوي يسمح للناس بالحصول على رغباتهم الخاصة واتباع مسارهم الخاص حتى النهاية؟ فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون، وأما أنا وبيتي فنعبد الرب الذي إلى الأبد رحمته، والذي لن يقضي على الإثم بأي حال من الأحول، بل يدع الحنطة والزوان ينموان معًا حتى وقت الحصاد حتى ينكشف قلب كل إنسان.

غزوة كنعان

كيف يمكننا التوفيق بين القتل الجماعي الذي قام به إسرائيل بحق الأمم وبين كلام المسيح؟

"لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!" (متى ٢٦: ٥٢).

ليس فقط الرجال، بل النساء أيضًا والأطفال:

"وَأَخَذْنَا كُلَّ مُدُنِهِ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ، وَحَرَّمْنَا مِنْ كُلِّ مَدِينَةٍ: الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ. لَمْ نُبْقِ شَارِدًا" (تثنية ٢: ٣٤).

هل كان الإسرائيليون في وفاق حقيقي مع صفات الله؟ ولماذا كانوا يخشون باستمرار أنه قد أخرجهم إلى الصحراء لقتلهم؟ هل كانت الظلمة الدامسة التي وقعت على إبراهيم مرتبطة بأي شكل من الأشكال برفعه للسيف لإنقاذ ابن أخيه وعائلته؟

وهل كان لقتل الشكيميين على يد لاوي وشمعون أي تأثير على النذر الذي نذره إسرائيل من جهة القضاء التام على أعدائهم؟

أتريد أن تعرف؟ إذا كنت لا تريد، ليت المسيح يأتي إليك كما أتى ليعقوب في وقت ضيقته واعتقد أنه عدو. لم يغلب يعقوب إلا عندما وضع ثقته في رحمة الله فأصبح إسرائيل الله الحقيقي.